المحاضرة التاسعة

النظريات المفسرة للتوافق

تمهيد:

ينظر غالبية علماء النفس على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم الى التوافق على أنه السواء والخلو من الاضطرابات والصراعات النفسية والقدرة على الانسجام مع النفس والآخرين وبالرغم من هذا الاجماع حول مصطلح التوافق إلاّ أن لكل مدرسة ونظرية وجهة نظرها في تحديد هذا الأخير وعملياته وعوامله. وهناك الكثير من النظريات التي وضعت لتفسير التوافق لدى الأفراد نذكر منها ما يلي:

أولا: النظرية البيولوجية الطبية: يؤكّد مدحت عبد اللطيف **(1999، ص. 86)** أن منظرو هذه النظرية يقرون بأن جميع أشكال الفشل في التوافق تنتج عن أمراض تصيب أنسجة الجسم خاصة المخ، ومثل هذه الأمراض يمكن توارثها أو اكتسابها خلال الحياة عن طريق الإصابات والجروح والعدوى أو الخلل الهرموني الناتج عن الضغط الواقع على الفرد، وترجع اللبنات الأولى لوضع هذه النظرية لجهود كل من (داروين، مندل، جالتون، كالمان وغيرهم).

ثانيا: النظريات النفسية:

1. نظرية التحليل النفسي: (مدحت عبد اللطيف، 1999، ص ص. 86-87)

- ✓ **فرويد:** اعتقد فرويد أن عملية التوافق الشخصي غالبا ما تكون لا شعورية، أي أن الأفراد لا تعي الأسباب الحقيقية لكثير من سلوكياتهم، فالشخص المتوافق حسب فرويد هو من يستطيع إشباع المتطلبات الضرورية للهو بوسائل مقبولة اجتماعيا والحامل للسمات التالية: – قوة الأنا.
  - القدرة على العمل.
  - القدرة على الحب.
- ✓ **يونغ:** اعتقد هذا الأخير أن مفتاح التوافق والصحة النفسية يكمن في استمرار النمو الشخصي دون توقف، كما أكد على أهمية اكتشاف الذات الحقيقية وأهمية التوازن في الشخصية السوية المتوافقة، وكذا على ضرورة تكامل العمليات الأربع التالية: الاحساس الادراك، المشاعر، التفكير، وقد قرر كذلك أن الصحة النفسية والتوافق السوي يتطلبان الموازنة بين ميولنا الانطوائية وميولنا الانبساطية.

- ✓ **آدلر:** اعتقد آدلر أن الطبيعة الانسانية تعد أساسا أنانية وخلال عمليات التربية فإن بعض الأفراد ينمون ولديهم اهتمام اجتماعي قوي ينتج عند رؤية الآخرين مستجيبين لرغباتهم ومسيطرين على الدافع الأساسي للمنافسة دون مبرر ضد الآخرين طلبا للسلطة أو السيطرة.
- ✓ **فروم:** اعتقد أن الشخصية المتوافقة هي التي يكون لديها تنظيم موجه في الحياة وأن تكون مستقبلة للآخرين، ومنفتحة عليهم، ولديها قدرة التحمل والثقة وقد أكد على مغزى قدرة الذات على التعبير عن الحب للآخرين بدون قلق عما قد يعقب ذلك.

2. **النطرية السلوكية:** يتفق معظم السلوكيين على أن سلوك الفرد عبارة عن ديناميكية بمعنى أن الفرد لا يتأثر فقط بالبيئة المحيطة به بشكل سلبي، بل يؤثر فيها كما يتأثر بها، ونتيجة لهذا التأثير والتأثر المتبادل يتحدد الشكل النهائي للسلوك.

كما أشار عبد المنعم السيد أن بعض علماء المدرسة السلوكية اختلفوا في حدوث عملية التوافق مثل واطسون وسكينر رأوا أن عملية التوافق تتم بدون قصد وبصورة آلية عن طريق الإثابات البيئية، في حين يرى باندورا وماهوني أن بعض عمليات التوافق تتم بصورة قصدية واعية تماما، ويرون أن السلوك التوافقي هو الذي يؤدي الى خفض التوتر الناتج عن إلحاح دافع معيّن والفرد يتعلّمه، ويميل الى تكراره في المواقف المماثلة، كما يرون أن الشخصية ليست إلاّ جهاز للعادات والمهارات والسلوكيات التي اكتسبها الفرد والسلوك التوافقي هو القدرة على التنبؤ بالنتائج المترتبة على السلوك والقدرة على ضبط الذات.

3. **نظريات علم النفس الانساني:**

لقد قام ببلورة هذه النظرية مجموعة من العلماء الذين عارضت آراؤهم كل من المدرستين التحليلية والسلوكية، واجتمعوا على أن هناك سمات تميّز الانسان عن الحيوان كالحرية والإبداع، وكان في مقدمتهم كل من (كارل روجرز، أبراهام ماسلو وجوردون ألبورت) فرأى روجرز بأن الأفراد الذين يعانون من سوء التوافق يلجؤون للتعبير عن بعض الجوانب المقلقة في سلوكهم على نحو لا يتسق مع مفهوم الذات لديهم، ويؤكّد على أن سوء التوافق النفسي قد يستمر إذا ما حاولوا الاحتفاظ ببعض الخبرات الانفعالية بعيدا عن مجال الوعي أو الإدراك، مما يؤدّي الى جعل امكانية تنظيم أو توحيد مثل هذه الخبرات (كجزء من الذات التي تتفكك نظرا لافتقاد الفرد قبول ذاته) أمرا مستحيلا فيدفع بهم لمزيد من مشاعر الأسى والتوتر وسوء التوافق ويذهب " ماسلو " الى أن أصحاب الشخصية المتوافقة يتميزون بخصائص معينة –بالقياس الى سيئي التوافق – ومن أهمها إدراك الواقع على نحو أكثر فاعلية وعلاقات مريحة معه وتقبّل الذات والآخرين والطبيعة والتلقائية في الحياة الداخلية والأفكار والدوافع والتركيز على المشكلات والاهتمام بها خارج نفسه والشعور برسالته في الحياة والقدرة على الانسلاخ عما حوله من مثيرات والحاجة الى العزلة والخلوة الذاتية والاستقلال الذاتي عن الثقافة والبيئة والشعور القوي والتوحد مع الناس والشعور العميق

بالمشاركة الوجدانية والمحبة للبشرية ككل والتمتع بعلاقات شخصية متبادلة وعميقة والتحلي بالأخلاق الديمقراطية والتمييز بين الوسائل والغايات والخُلق والإبداع.

وبما أن الشخصية المتوافقة هي تلك التي تتمتع بالتوازن بين الفرد وذاته من جهة وبين الفرد ومجتمعه من جهة أخرى، إضافة الى الرضا والقبول الذاتي والاجتماعي أيضا من الفرد نفسه، فلا بدّ من الإشارة الى أن هذه المشاعر تتشكّل ضمن عدة محددات تتكامل فيما بينها (يعتبر كل من الوراثة والبيئة) ولا يمكن الحكم على الفرد ضمن اتجاه بعينه دون الآخر **(ليلى وافي، 2006، ص. 70)**

ثالثا: النظرية الاجتماعية:

من أشهر منظريها نجد: (فيرز، دنهام، هولنجزهيد، ردليك) والذين يقرون بوجود علاقة بين الثقافة وأنماط التوافق، وهذا يعني أن الطبقات الاجتماعية في المجتمع تؤثّر في التوافق حيث صاغ أصحاب الطبقات الاجتماعية الدنيا مشاكلهم بطابع فيزيقي، كما أظهروا ميلا ضعيفا لعلاج المعوقات النفسية، هذا في حين قام ذوو الطبقات الاجتماعية العليا والراقية بصياغة مشكلاتهم بطابع نفسي وأظهروا ميلا أضعف لمعالجة المعوقات الفيزيقية **(مدحت عبد اللطيف، 1999، ص. 93)**

تعقيب على النظريات السابقة:

من العرض السالف يتبيّن لنا المحاولات المبذولة من أجل تفسير مصطلح التوافق الذي يعتبر من أهم مواضيع علم النفس، والنظرة الصائبة للأمور تقتضي النظرة التكاملية لتلك النظريات المختلفة بمعنى ألاّ يجب أن يخضع تفسيرنا لهذا الأخير أو سوئه الى نظرية محددة دون الأخرى، لأن الانسان ببساطة ما هو إلاّ محصّلة تفاعل بين تلك القوى الثلاث (نفسية، اجتماعية، بيولوجية) وعلى هذا يجب أخذ كل النظريات بعين الاعتبار ومحاولة التوفيق بينها.